(١٠)
دور النديم فى أثناء المعارك بين العرابيين والإنجليز

لما أخذ عرابى فى إعداد خطوطه الدفاعية فى كفر الدوار طلب منه الخديو وقف كل التجهيزات الحربية والحضور إليه فى قصر رأس التين، وإلغاء الإدارة العسكرية وإعادة الإدارة المدنية فاستشار النديم فى الأمر فنصحه بعدم التوجه إلى الخديو برأس التين فرفض عرابى طلب الخديو واستمر فى استعداداته، وأخذ النديم فى تعبئة الشعور الوطنى فنظم أسلوب الدعاية إلى المعركة وضاعف جهده وتحمل المسئولية كاملة فكان قديرا على اللعب بعواطف الناس وإشباع تطلعاتهم.

ونتيجة لتطورات الأحداث واتضاح موقف الخديو المؤيد للإنجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من طوائف الشعب

كافة لعرض الموقف عليهم فاجتمع "عدد عظيم من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها للمشاورة فى أمر الحرب "وانعقدت أولى جلسات الجمعية فى مساء ٨٢/ ٧/ ١٧ واتخذت قراراتها بالإجماع، وكان أهمها الاستمرار فى قتال الإنجليز ومطالبة الخديو ومن معه من الوزراء بالعودة إلى القاهرة. ولما علم الخديو بذلك أصدر أمرا بعزل عرابى من منصبه وإعلان عصيانه، فعقدت الجمعية اجتماعها الثانى فى ١٨٨٢/ ٧/ ٢٢ وبرز دور النديم فى هذا الاجتماع حيث شنع بالخديو وطالب بالوقوف مع رجال الجهادية، وفى هذا الاجتماع استطاع العرابيون تختيم الحاضرين على توقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظارة الموجودين معه بالإسكندرية وعدم تنفيذها، حيث إن الخديو خرج على قواعد الشرع والقانون.

وأرسل العرابيون إلى المديريات ودواوين الحكومة منشورا بإعلان انضمام الخديو إلى الإنجليز وخلع طاعته لأنه باع البلاد لألد أعدائها، والاستعداد للقتال وعدم تسليم البلاد لأحد وفيها ذو روح يتنفس.

كما أمر عرابى بسد ترعة المحمودية لقطع المياه عن الخديو وأعوانه بالإسكندرية.

وفى غمرة هذه الاستعدادات للحرب توجه النديم إلى الأزهر

مشعلا حماسته لمناصرة الثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو لانحيازه إلى أعداء الوطن ثم أخذ يجوب مدن البلاد وقراها لحفز همم الناس على مواجهة أعداء الوطن والدين، فكان لخطابته دوى شديد فى النفوس حيث تناقلها الناس فيما بينهم واشتعلت قلوبهم بالحماسة للوطن والدين وتزاحموا على إعانة الجيش بما يلزمه، وكان النديم ينشر أخبار التبرعات فى صحيفته، كما تحمست الأمة المصرية على اختلاف مشاربها لقتال الإنجليز الطامعين فى البلاد فانضم الرجال إلى معسكرات التدريب تاركين عائلاتهم ومحلاتهم وأشغال مزروعاتهم، وهرع الشيوخ إلى المساجد يدعون الله أن ينصر "عرابى" حامى البلاد.

وقد قامت "الطائف" بدورها فى الدعاية للعرابيين تعادى من يعاديهم وتشجع من يواليهم، كما لقبت "عرابى" بحامى البلاد المصرية والمدافع عن الإسلام، وتردد بين الناس هتاف " الله ينصرك يا عرابى".

وقد حاول النديم فى دعايته للحرب تجنب الشقاق بين عنصرى الأمة، فذكر أن الحرب بين المصريين والغزاة وليست بين مسلمين ومسيحيين حتى يقطع على الإنجليز طريق اتخاذ الدين وسيلة للتفرقة بين أبناء الوطن، وساعد على ذلك أن بطريرك الأقباط أعلن

أن الإنجليز خرجوا على تعاليم المسيحية السمحة التى تدعو إلى الإسلام، ومن ثم أصبح الإنجليز فى نظر المصريين كفرة خارجين عن دينهم فوق أنهم غزاة مغتصبون، وبعد أن عبأ النديم الشعور الوطنى داخل البلاد لحق بعرابى فى مقر قيادة الجيش بمعسكر "كنج عثمان" حيث كان الجيش يتأهب لقتال الإنجليز فعمل مستشارا سياسيا له وتحمل عبء الدعاية كاملا.

ولما لم يتمكن الإنجليز من اقتحام استحكامات العرابيين فى كفر الدوار وجهوا قواتهم إلى قنال السويس مما اضطر العرابيين إلى جعل منطقة التل الكبير مركزا عموميا لقواتهم العسكرية.

انتقل النديم مع عرابى إلى الجبهة الشرقية فى التل الكبير يكتب أخبار الحرب فى صحيفته، ويهاجم الخديو والاحتلال. وينشر الدعايات المليئة بالمبالغات ضد الإنجليز مستثيرا همم الجنود ومحمسا لهم.

وقد استطاعت إنجلترا تغيير ميزان المعركة لا حربيا فقط بل وسياسيا أيضا، إذ استطاعت نتيجة للمحادثات المكثفة بينها وبين الدولة العثمانية ونتيجة لجهود اللورد دوفرين مندوبها فى الآستانة-الضغط على السلطان حتى أصدر منشورا بعصيان عرابى مما قلب ميزان الحماسة الشعبية وأضاع التأييد الإسلامى والعربى للثورة، وكان له أسوأ الأثر فى النفوس.